الفصل التاسع

بَعْدَ الاغتيال

تعددت الروايات بشأن مصرع راسبوتين كما هو الشأن فى تعدد الروايات بالنسبة إلى كثير من الأحداث التاريخية . لدينا رواية الأمير فيلكس يوسوبوف ، ورواية عضو البرلمان بيوريڤيتش وكل منهما تضمنهما كتاب مطبوع . ولدينا فى أكثر من كتاب رواية ابنة راسبوتين ماريا راسبوتين فى كتاب عن حياة والدها صدر سنة ١٩٧٧ وأكدت أن فيلكس يوسوبوف الذى كان والدها يستخدمه جنسيا Used him sexually على حد تعبيرها هو الذى أطلق النار على أبيها فى رأسه .. وعندما سقط على الأرض أخذ المتأمرون يدوسونه بالأقدام ، ويصبون الخمر على وجهه، وأمسك أحدهم وهو طبيب خنجرا وقطع عضو الذكورة وعلقوه على الجدار He castrated Gregory Raspotin and flung his penis across the room. وهناك أيضا رواية آرون سيمانوڤيتش Aaron Simanovich سكرتير راسبوتين الذى ذكر أن المتأمرين أعطوا راسبوتين مسدسا وطلبوا منه أن ينتحر وهناك بطبيعة الحال تقرير الشرطة . ولكن لاترقى هذه الروايات التى تزخر بالشائعات إلى مستوى رواية الأمير فيلكس أو رواية بيوريڤيتش وهما المشاركان فى اغتيال راسبوتين . وعلى أى حال لقد تم اغتيال راسبوتين ! مات راسبوتين مقتولا! وشاعت أخبار اغتيال راسبوتين بطريقة أو أخرى من مصدر أو آخر ، وكان مجرد عدم عودته إلى منزله فى الصباح كافيا لتوجس ابنته كما سبق أن أشرنا.. وبدأ الربط الفورى بين اغتيال راسبوتين وصوت إطلاق النار أكثر من مرة فى قصر مويكا وكثرة تحرك السيارات منه وإليه.. وشاع بين الناس أن راسبوتين قد تم اغتياله على يد الأمير فيلكس وشركاء له لم يلبث الناس أن عرفوهم .

وعثر رجال الشرطة على جثة راسبوتين وملابسه فى نهر نيڤا. وتأكد نبأ اغتيال راسبوتين ، وعلى الرغم من تحذير الصحافة ألا تنشر شيئا بحجة استكمال

التحقيق إلا أن بعض الصحف تحايلت على إذاعة الخبر دون ذكر الأسماء . ونشرت إحدى الصحف خبرا على النحو التالى : «زار شخص ومعه أشخاص آخرون شخصا آخر . وبعد أن اختفى الشخص الثانى شهد واحد من الأشخاص الآخرين أن الشخص الأول لم يذهب إلى مسكن الشخص الثانى . مع أنه من المعروف أن الشخص الأول كان قد زار الشخص الثانى فى مسكنه فى وقت متأخر من الليل» .

ونشرت صحيفة أخرى ما يلى : «صقيع كثيف وضباب مخيف . والمياه فى العاصمة قد تحولت إلى ثلج بارد صامت يعلوه ثلج . والحدائق أيضا يتساقط عليها البرد والثلج . ولكن فوق العاصمة يجثم الكابوس الكبير وتطوف الأحلام المزعجة أثناء النوم والناس نيام نيام . وطلقات الرصاص تدوى فى الحدائق الصامتة صمت الأموات ، وأناس ماتوا وأناس لايزالون أحياء تحملهم السيارات. والأحلام الخيالية تنسج الضباب المسموم لتتحول الأحلام إلى حقائق تفضى إلى المزيد من الهموم !» وكانت القيصرة ألكساندرا تشعر شعوراً أكيد أن اغتيال راسبوتين ـ وقد أصبح حقيقة مؤكدة – قد تم فى قصر مويكا باشتراك الأمير فيلكس يوسوبوف مع آخرين . ووجهت أكبر المسئولين فى قيادة الشرطة فى العاصمة الروسية لكى يعملوا فى هذا الاتجاه. ووجدوا كثيرا من الأدلة التى توضح هذه الحقيقة الدامغة .

ووصل إلى قصر مويكا الجنرال جريجورييف صباح يوم ١٧ ديسمبر . وقص عليه الأمير فيلكس قصة وجود حفلة وضيوف مخمورين وإطلاق أحدهم الرصاص على كلب باعتبار أن ذلك هو السبب فى وجود آثار للدم وكسر فى زجاج النافذة من جراء إطلاق الرصاص .

ووصل بعده بقليل الجنرال ڤاسيلييڤ ، ولم يكن الأمير فيلكس فى القصر إذا كان قد ذهب إلى قصر حميه فاستجوب الجنرال الخدم الذين أصروا على تكرار مزاعم الأمير فيلكس .

ولما عاد فيلكس إلى القصر فاجأه الجنرال ڤاسيلييف بأن عضو البرلمان

بيوريڤيتش قد أخبره شفويا أنه قد اشترك مع فيلكس فى اغتيال راسبوتين ، وَرَدَّ فيلكس بقوله إن بيوريڤيتش كان ضمن المدعوين ولكنه لم يشارك فى الاغتيال لأن اغتيال راسبوتين لم يحدث فى القصر أصلا . وطلب الجنرال تفتيش القصر فقال الأمير فيلكس : «لا .. زوجتى هى بنت أخ للقيصرة ولا يجوز تفتيش القصر إلا بأمر مباشر من القيصر» .

ولما عاد القيصر إلى سان بطرسبرج كان الناس يعتبرون أن اغتيال راسبوتين عمل وطنى بطولى ، وقرر القيصر أن القضية ليست من اختصاص القضاء العادى ولكنها من اختصاصه وكان بين قرنى إحراج : لو عاقب القتلة يغضب الرأى العام ولو لم يعاقبهم تغضب القيصرة وتتوارى هيبة القانون . وقرر القيصر أنه يعتبر أن الأمير فيلكس يوسوبوف والدوق الأكبر ديمترى باڤلوڤيتش هما المسئولان الوحيدان عن اغتيال راسبوتين لأنهما يعتبران أصحاب القصر والباقى كانوا مجرد ضيوف . وقرر نفى كل منهما إلى جهة نائية .. وتم دفن راسبوتين فى كنيسة لم يكن قد اكتمل بناؤها ووضعت الإمبراطورة فى كفنه أيقونة وخطابا كتبته بنفسها . ولم تستجب القيصر لأى التماس قدمه إليه أفراد أسرة رومانوف للعفو عن الأمير فيلكس يوسوبوف أو الدوق الأكبر ديمترى باڤلوڤيتش حتى قامت الثورة البلشفية الشيوعية فى ٢٣ فبراير ١٩١٧ لتقتلع كل شىء . وكأنما كان اغتيال راسبوتين مؤذنا ببدء تلك الثورة بدلا من أن يمنعها . وانتقل الشعب الروسى من آلام الرأسمالية الظالمة إلى أوهام الشيوعية الأكثر ظلماً ... وحتى انهارت الشيوعية فى روسيا أيضا بعد حوالى نصف قرن من القهر الشيوعى الذى كان يظن زعماؤه أنهم أكثر عدلا من الله فى توزيع الثروات على الناس ، وفى ذلك عبرة لمن يعتبر وموعظة لمن يتعظ .

«تم بحمد الله»